ابراهيم الأمين

إما أميركا... وإما القدس!

ما فعله دونالد ترامب، أمس، قد يكون الفرصة الأنسب لتثبيت الموقف من أصل المشروع الاستعماري الاستيطاني الذي يحمل اسم «إسرائيل». أميركا التي عادت فقالت لنا أمس، بفجور وفجاجة، وضد إرادة جزء من حلفائها وشركائها في المشروع الاستعماري، ما تقوله لنا على امتداد الحقبات والعهود، بأنّها مصدر قهرنا وبؤسنا وظلمنا. أي أننا لن نسترجع شبراً من فلسطين إلا إذا أعلنّا حرباً شاملة عليها، وإذا عملنا على تحويل حياتها إلى جحيم، ورايتها إلى شعار العار، وجيشها إلى وحش متنقل في العالم. أما آنَ أن يعي العرب أن أميركا، باختصار، هي أصل البلاء وأصل الشر؟ أما إسرائيل، فلنتركها جانباً، إذ مهما قيل عن «قوّتها وتفوقها وتحضّرها»، فليست سوى مستعمرة أميركية – بريطانية، لا يمكن أن تعيش يوماً واحداً بلا حماية الغرب،

> **لم يعد أمامنا سوى رفع الشعار والقبضات والهتاف الواحد: الموت لأميركا!**

ورعايته، ودعمه الأعمى.

هذا الغرب الاستعماري، وتحديداً الولايات المتحدة الأميركيّة، هو علّة وجود الكيان الغاصب، وكل ما يبذله من جهود، يمدّد قسراً وجود إسرائيل الاصطناعي، المخالف للحق وللمنطق، ولحركة التاريخ، في انتظار أن تنتهي إلى حتفها الأكيد. هذا هو الدرس الذي يلقنه اليوم للشعوب العربيّة، مشعل الحرائق المعتوه في البيت الأبيض. بعض الحكام العرب الذين لم يفهموا منذ سبعين عاماً، أن «إسرائيل» هذه، ليست شيئاً من دون حماية الغرب... ولن يكون لها وجود من دون غطاء أميركا ودعمها. «إسرائيل» هذه، لم تعد مصدر الخوف والقلق، بعد تحطّم أسطورتها العسكريّة على صخرة المقاومة الشعبيّة في لبنان وفلسطين... وكل ما يمكن أن تقوم به، وحدها، لا يستطيع أن يبقيها، ولو لساعة واحدة، على قيد الحياة.

اليوم، في اللحظة التي يطلع بيننا، نحن العرب، من يعلن الخضوع الكامل لأميركا، تحت راية «سلام» ليس إلا تبعيّة واستسلاماً... وفي اللحظة التي يقف فيها «العالم الحرّ»، عاجزاً ومكتوف اليدين، أمام جنون الكاوبوي، لم يعد أمامنا سوى أن ننتفض لكرامتنا، أن نذهب إلى معالجة جذر المشكلة لا عوارضها. لم يعد أمامنا من خيار، سوى أن نرفع الشعار والصوت والقبضات والهتاف الواحد: «الموت لأمريكا»! أن نعلن الحرب الشاملة على أميركا ومصالحها في كل مكان.

كان لا بد من هذه الخطوة، وإن كانت متوقّعة من زمن غير قصير، هذه الخطوة العالية الرمزيّة بالنسبة إلى العرب والمسلمين، البالغة الخطورة والفظاعة، التي نعتها الرئيس نبيه برّي بـ «وعد بلفور جديد»... كان لا بدّ منها لنتأكد من أن معركتنا الحقيقية هي مع أميركا قبل إسرائيل. أميركا التي تأسست مثل إسرائيل على المجزرة، وعلى إبادة حضارة كاملة لتبني على أنقاضها «جنّة الحريّة». أميركا التي لم تزدهر يوماً إلا عبر استغلال العالم، والشعوب المستضعفة، وعبر الحروب الاستعماريّة. أميركا التي غطّت وتغطّي على كل جرائم إسرائيل، ومجازرها، وسياساتها العنصريّة والاستيطانيّة... لا يجدي أن نحارب إسرائيل ونتركها. وربما كان بعض العرب يحتاج إلى هذا الدرس الإضافي، بل قل هذه الصدمة، هذا الزلزال، إهداء القدس إلى الغزاة، حتى يعرف أن الرهان على أميركا ضرب من ضروب العبث أو الانتحار أو الخيانة الواعية.

اليوم تحديداً، بات على كل العرب أن يختاروا: فإما أميركا وإما القدس!

إنّ من يختار القدس، عليه أن يعلم أن المعركة تتطلب التحالف مع كل من يقف في مواجهة أميركا. وعليه أن يعي، أن تحريض الناس على أميركا، يعني دعوته إلى معارضتها ومقاتلتها والانتفاض عليها بكل الوسائل. ورفض كل ما يأتي منها، حتى ولو كان مغلفاً بأوهام الحل، أو الترياق المنشود.

إنّ من يختار الانتماء إلى القدس والدفاع عنها، عليه العمل من دون توقف، وبكل ما أوتي من قوة، لقتل كل جندي اميركي خارج حدود بلاده، ولاحتلال سفارات أميركا في كل العالم أو إحراقها وتدميرها. لنطرد من بلادنا كل موظف أميركي، دبلوماسي أو سياسي أو خلافه. وكل من يتقاضى راتباً من الحكومة الأميركية. لنواجه ديموقراطيتهم الزائفة، نقطع السبل أمام كل مشاريع مرتزقتهم المنتشرين في بلادنا والعالم، في خدمة أجندات مشبوهة لا تخدم إلا إسرائيل، خلف شعارات مزيّفة عن «حقوق الإنسان والتنمية والتقدم».

إنّ من يختار القدس، عليه أن يختار زمن المقاومة الشاملة، التي تلزمنا بعملية ليست بسيطة، لكنها ممكنة، من أجل التخلي عن كل ما له صلة بهم. ومن يختار القدس، عليه العمل على إشعار الشعب الأميركي بأن مسؤوليته باتت عظيمة، وأنه سيكون من يدفع ثمن سياسات من يختارهم لحكم بلاده.

صحيح أنها عملية شاقة وطويلة، لكنها مسار إلزامي لكل من يريد التخلص من كابوس إسرائيل، ومن خدمها الأذلاء المتربّعين على عروش السلطة في بلادنا، مغتصبي الشرعية والعدالة والحريّة. وما فعله حكام ممالك القهر في الخليج العربي، وقبلهم حكومات في المشرق وشمالي إفريقيا، لم يكن ممكناً لولا صمتنا عن تآمرهم، ولولا خنوع بعضنا، وقبول هذا البعض، بل الترويج، لثقافة الاستسلام.

اليوم، يفتح دونالد ترامب الباب أمام فرصة جديدة لتيار المقاومة في فلسطين والعالم العربي. «يساعدنا» مشكوراً على إعادة توجيه الأنظار صوب الحقيقة القاسية، وهي أن نفوذ أميركا المباشر أو من خلال إسرائيل، هو الهدف الوحيد المفترضة مواجهته، وقلب الطاولة على رؤوس المتعاونين معه.

خاتماً بقوله: «عاشت فلسطين».

أما كبير المفاوضين الفلسطينيين، صائب عريقات، فقال إن ترامب «عزل الولايات المتحدة عن أي دور ممكن في عملية السلام مستقبلاً»، مضيفاً أن الرئيس الأميركي «استخف بشكل غير مسبوق بالأصوات العربية الحكيمة، وبزعماء العالم التي حاولت ثنيه عن خطوته هذه». في المحصلة، كرّر رئيس الولايات المتحدة ما فعله وزير الخارجية البريطاني آرثر بلفور عام 1917، بطريقة أو أخرى، عندما «قدّم» فلسطين لزعماء الحركة الصهيونية. قريباً من الذكرى المئوية للوعد المشؤوم، أعلن ترامب أن القدس «عاصمة لإسرائيل»، وأنه أعطى أوامره لوزارة الخارجية لبدء نقل سفارة بلاده من تل أبيب (التي لم تعترف بها أميركا عاصمة لإسرائيل) إلى القدس. أثبتت خطوة ترامب أنها طعنة في الصدر، لا الظهر، لخيار السلطة في الاعتماد على الطرف الأميركي وسيطاً في مفاوضاتها مع العدو، وهو ما أكده عباس بنفسه في كلمة متلفزة تلت كلمة ترامب، وجاء فيها أن القرار يمثل «إعلاناً بانسحاب الولايات المتحدة من ممارسة الدور الذي كانت تلعبه خلال العقود الماضية في رعاية عملية السلام»، وهو ما أعاد «كبير المفاوضين» صائب عريقات تأكيده بقوله إن «الرئيس الأميركي يتصرف بطريقة أكثر إسرائيلية من الإسرائيليين».

رغم خطورة القرار الأميركي تجاه مدينة القدس، لم يتخذ عباس أي قرار فعلي مضاد لجهة إعلان وقف التنسيق الأمني، القائم فوق الطاولة وتحتها مع العدو، أو وقف الاتصالات مع واشنطن، أو حتى التهديد بتعديل الميثاق الوطني الفلسطيني لجهة اعتراف «منظمة التحرير» بإسرائيل.

وعلى الأرض، فإن ما عاشه الفلسطينيون أمس، شبيه بما عاشه أجدادهم بعد إعلان وعد بلفور، إذ إن إطفاء شجرة الميلاد في بيت لحم شبيه بما فعله أجدادهم لجهة رفع الأعلام السوداء وإغلاق محلاتهم رفضاً لوعد بلفور. لكننا اليوم في 2017، وإسرائيل والحركة الصهيونية لم تعودا كما كانتا قبل مئة عام. اليوم يوجد في فلسطين مقاومة قادرة متمكنة تمتلك آلاف الصواريخ التي يمكنها ضربها تل أبيب، وأصبح الفلسطيني مقاوماً يخطط ويضرب العدو في عقر داره، ولم يعد ذلك المزارع الذي يهاب عصابات «الهاغاناه» و«شتيرن» و«البلماخ».

(الأخبار)

القدس». ودعت الوزارة «موظفيها والمعلمين وطلبة المدارس الثانوية والجامعات والكليات المشاركة الحاشدة في المسيرات المقررة غداً (اليوم)». يذكر أن طلاب المدارس هم العمود الأساسي في المواجهات الأخيرة التي شهدتها الضفة خلال «انتفاضة القدس».

من جهة ثانية، حذر رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، إسماعيل هنية، قبل خطاب ترامب، من مغبة القرار الأميركي، واصفاً إياه بأنه «مقامرة غير محسوبة، ولن يكون لها سقف بخصوص ردود الفعل الفلسطينية والعربية والإسلامية». وقال في تصريح لقناة «الجزيرة» القطرية إنه تحدث مع عباس في هذا الشأن، فيما شاطره الأخير «خطورة الموقف»، ناقلاً عن «أبو مازن» وعده أنه «إذا اتخذ ترامب قراره بإعلان القدس عاصمة لإسرائيل، فلن يكون بعد للإدارة الأميركية أي علاقة بعملية التسوية». وقال إنهما اتفقا على «احتجاج الجماهير الفلسطينية والتعبير عن غضبها وتمسكها بالقدس عاصمة لفلسطين».

من جهة ثانية، رأى نائب الأمين العام لحركة «الجهاد الإسلامي في فلسطين»، زياد النخالة، أن إعلان ترامب القدس «عاصمة لإسرائيل» هو «إعلان حرب». وقال في حوار تلفزيوني أمس، إن «هذا اليوم (أمس) هو يوم حداد للأمة ويجب النهوض لمواجهة الاستكبار الأميركي». ورأى النخالة أن «قرار ترامب محطة فاصلة لنميز بين من هم مع فلسطين، ومن هم أعداء فلسطين، ومن هم مع القدس، ومن هم ليسوا مع القدس».

وتعقيباً على خطاب رئيس السلطة محمود عباس، أكد أن «الخطاب ليس بمستوى هذا العدوان الأميركي على شعبنا»، حاثاً السلطة على أن «لا تراهن على السياسة الأميركية في المنطقة لأنها لن تجني شيئاً في المستقبل»، مشيراً إلى أن «خطاب أبو مازن يوحي بأنه يراهن على خيارات أخرى وتعاطف دولي». وشدد على أنه «يجب أن تواجه الفصائل كافة هذا العدوان... أعتقد (أن) الشعب لديه الإرادة والقدس للدفاع عن فلسطين».